مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 02/ السنة: 2023 ص ص:320-349

جوانب من تاريخ سكيكدة القديم

Aspects of the ancient history of Skikda

غنية بوغرة

جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، ghania.bougherra@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام:2022/12/24 تاريخ القبول: 2023/03/29 تاريخ النشر: 2023/06/16

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى ابراز الدور الحضاري الذي لعبته روسيكادِ خلال الفترة القديمة من خلال مكانتها التاريخية كمدينة ساحلية ارتبطت نشأتها بالملاحين الفينيقيين وتطورت ضمن امبراطورية قرطاج التجارية العائمة في حوض المتوسط، ثم شكلت احد أهم موانئ المملكة النوميدية النشطة التي وثقت روابطهاباقتصاد المتوسط والقوى الدولية الفاعلة فيه، ثم كمدينة وميناء خاضع لسلطة روما ومهيء لخدمة مصالحها الاقتصادية، وكذا استعراض نماذج من البقايا الأثرية التي تشهد على مواكبة روسيكادِ للتحولات الحضارية التي شهدها المغرب القديم من جهة، والأحداث التاريخية التي مست منطقة المتوسط من جهة أخرى طيلة الفترة القديمة.

كلمات مفتاحية: روسيكادِ؛ الفينيقيون؛ ثابسا؛ سطورا؛ الآثار الرومانية .

Abstract:

This study aims to highlight the role of Rusicade during the ancient antiquity as acoastal city whose origins were linked to the Phoenicians and developed within the commercial empire of Carthage.Then it formed one of the most important ports of the Numidian Kingdom, then as a city and port subject to the authority of Rome and its economic interests.Examples of archaeological remains that testify to Rusicade's keeping pace with the civilizational transformations witnessed by the ancient Maghreb on the one hand, and the historical events that affected the Mediterranean region on the other hand throughout the ancient period.

Key words: Rusicade ; the Phoenicians; Thapsa; Stora; the roman romains

مقدمة

لقد شكلت مدينة روسيكادِ (Rusicade) امتدادا جغرافيا للمجال الاقليمي الذي يمكن الاشارة إليه باسم المنطقة الكيرتية المتكون من مدن كيرتا (قسنطينة) وميلو (ميلة) القريبة منها والتي تمثل بدورها امتدادا لعمق كيرتا الداخلي ومنطقتها الخلفية، بينما شكلت روسيكادِ (سكيكدة) وكولو (القل) المنفذ البحري لهذا الاقليم وإطلالته الساحلية وموانئه التجارية وصلته بالعالم الخارجي المتوسطي، هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المناطق الريفية التي أدت دورا عسكريا واقتصاديا، ودعمت النطاق الجغرافي لهذا الاقليم الذي شهد أحداثا تاريخية عديدة لعلها بدايتها تعود الى عصور ما قبل التاريخ بما أن هناك الكثير من البقايا المادية العائدة لتلك الفترة تؤكد على الاستقرار البشري به، لتعرف روسيكادِ خلال المرحلة التاريخية كأحد الموانئ الفينيقية ثم القرطاجية مثلما تؤكده مختلف المصادر، لتبرز بعدها أهمية هذا الميناء خلال أحداث القرن 3ق.م حين أصبح ذا مكانة أكبر وأهم على مستوى حوض البحر المتوسط في عهد المملكة النوميدية التي أخذت مكان ودور قرطاج في تجارة المتوسط،

أما خلال الفترة الرومانية فقد أصبح ميناء روسيكادِ – إلى جانب كولو– أشد ارتباطا بكيرتا واقليمها كونه أحد مينائي الاقليم الذي عن طريقه كان يتم تصدير منتجاته وبضائعه الآتية من المناطق الداخلية والموجهة نحو موانئ الامبراطورية الأخرى، وعن طريقه كانت تصل البضائع المتنوعة الآتية سواء من الموانئ الايطالية أو الاسبانية أو حتى المشرقية ليعاد توزيعها على مدن ومناطق الاقليم الكيرتي الداخلية،

وعليه فسنحاول من خلال هذه الدراسة تقديم عرض تاريخي موجز عن روسيكادِ المدينة والميناء خلال الفترة القديمة لا سيما ما يتصل بشأن التسميات التي عرفت بها والتدرج التاريخي لها ومختلف المعالم العمرانية التي توفرت عليها سواء تلك المندثرة التي لم يعد لها وجود أو تلك التي لا تزال تقاوم عوامل الزمن والانسان.

1– روسيكادِ : المدينة

أ– الموقع

تقع روسيكادِ(**Rusicade**)التي تتطابق حاليا مع ولاية سكيكدة بجهة الشمال الشرقي للجزائر حيث تقدر المسافة بينها وبين عاصمة البلاد بحوالي 370كلم، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وشرقا ولاية عنابة التي تبعد عنها بحوالي 110 كلم، ومن الجنوب ولايات قالمة وميلة وقسنطينة التي تبعد عنها بحوالي 83كلم، أما بالجهة الغربية فتحدها ولاية جيجل، مما جعل شريطها الساحلي يمتد على طول حوالي 130 كم، بينما تركز عمران المدينة على سفوح هضبة بوعباز بمرتفعات سكيكدة وفي عمق الخليج النوميدي (**Sinus Numidicus**) المعروف اليوم بخليج سكيكدة أو خليج سطورا، والذي يعد حاليا أهم خليج على الساحل الجزائري والمشكل من رأس بوقرعون الواقع بالجهة الغربية لسكيكدة ورأس الحديد(**Cap de Fer**) الواقع بجهتها الشرقية ،**(Cote M.,1996,p.166-167)**

هذا ويشير معظم الباحثين المعاصرين بأن بطليموس يعد الجغرافي الوحيد الذي ذكر هذا الخليج النوميديكما أعطى رقم المسافة الصحيح لامتداده، وقد وصفه على أنه يتكون من قسمين منفصلين بواسطة نتوء للشاطئ، فالقسم الأول منه يتواجد بالجهة الشرقية للولاية على شكل خليج صغير(baie) والذي يعرف بالخليج الصغير لسكيكدة أو بخليج سطورا لذي ذكره بطليموس تحت اسم خليج أولكاكيت (Sinus Olcachites)، وهو عبارة عن خليج صغير موجود بين رأس فلفلة ورأس الحديد مشكلا بذلك حسب تصور الجغرافيين القدامى جزءا من الخليج النوميدي (Sinus Numidicus) السابق الذكر، أما القسم الآخر الواقع غربا فهو المذكور أيضا من طرف بطليموس باسم كولوبس الكبير (Kollops Magnus) والذي يتطابق مع خليج القل المشهور باسم رأس بوقرعون.

(Shaw T.,1830 ,p.117-118 ;K.Mannert ,1842,p.363-364 ; Tissot J,1884,p.44)

ب– تسميات المدينة

عرفت سكيكدة على مر تاريخها بتسميتين اثنتين اختلفت صيغ نطقها وطريقة كتابتها حسب المراحل التاريخية التي تعاقبت عليها وتبعا لاختلاف طبيعة اللغات لمستعملي هذه التسميات بين السكان المحليين وأولئك الوافدين والدخلاء على المنطقة من غزاة وملاحين وتجار وغيرهم، بداية بالفينيقيين واليونانيين مرورا بالرومان والوندال وصولا إلى العرب والأتراك، وطبيعي أن يترك جميع هؤلاء بصمتهم في طريقة نطق أسماء مختلف المدن والمواقع والأنحاء التي تواجدوا بها، نتيجة لحصول مجموع التراكمات الحضارية الناتجة عن التأثيرات المتبادلة في المنطوق اليومي بين ما هو محلي وما هو دخيل أجنبي عن المنطقة،

وعليه فإن أولى تلك التسميات القديمة المحتملة التي عرفت بها المدينة قد تكون هي تابسا أو ثابسا (**Thapsa**) الوارد ذكرها في رحلة سكيلاكس اليوناني حوالي القرن 4 ق.م، أثناء وصفه للساحل الإفريقي بالعبارة الإغريقية التالية : (**Thapsa Kai Polis Kai Limen**) والتي يمكن ترجمتها إلى " ثابسا ومدينة وميناء"، حيث فسر الباحثون هذه الجملة بأن سكيلاكس قد قصد بها وجود ثلاثة مواقع جغرافية وهي : " ثابسا" الذي يشير هنا إلى اسم نهر ثابسوس حسب الصيغة اللاتينية وهو نفسه وادي الصفصاف الحالي كما يرجح معظم الباحثين، ثم الموقع الثاني وهو "المدينة" والمقصود بها في كلام سكيلاكس" روسيكادِ"، وأخيراموقع " الميناء" والمقصود به هو " سطورا **(Mannert K ,1842,p.364 ; Mercier E,1873-74,p.31-38)**

إلا أن هذا الوصف المختصر المذكور من طرف سكيلاكس قد تسبب في حدوث لبس حول اسم المدينة القديم وميناءها والنهر المحاذي لها، مما فتح المجال للوقوع في الاستنتاج الخاطئ لمن يقرأ هذا الوصف، فالملاحظ أن ما قام به سكيلاكس هو مجرد تعداد موجز لأسماء الأماكن الواقعة على الشريط الساحلي الافريقي، وبالتالي فإنه ليس من الصواب التأكيد على أن المدينة فعلا كانت تحمل تسمية ثابسا، كما لا يجب خلطها مع مدينة ثابسوس(رأس الديماس) الموجودة بتونس أين وقعت أحداث المعركة الشهيرة بين يوليوس قيصر والبومبيين سنة 46 ق.م **(Tissot J,1884,p.43-44)**، وللاشارة فقد ذكر كاربخال في القرن 16م صيغة مشابهة لكلمة ثابسا

كاسم قديم لسكيكدة وهي " طاكاسي " في قوله"... واسمها عنده (يقصد الجغرافي بطليموس) طاكاسي..."،**(كاربخال ،1984،ص.7)**

أما التسمية الثانية التي اشتهرت بها المدينة واستمرت إلى غاية يومنا هذا فهي روسيكادِ(**Rusicade**) التي كتبت في اللاتينية بحرف (S) واحد فقط وتنطق "روسيكادِ " بامالة خفيفة، وللاشارة فإن أغلب الباحثين المختصين في اللغات القديمة قد رجحوا بأن أصول كلمة "روسيكادِ" تعود إلى اللغة الفينيقية السامية أبقى الرومان على تداولها مع بعض التغيير في صيغة النطق، وقد ساق هؤلاء الباحثين العديد من الفرضيات لاثبات هذا الأصل السامي للتسمية، خاصة وأن المدينة وميناءها قد كان أحد المحطات التجارية الفينيقية ثم البونية أو القرطاجية بعدها، ومن بين الفرضيات التي تناولت هذه المسألة تلك التي تشير بأن كلمة "روسيكادِ" تنقسم إلى شقين هما : الأول "روس" وتعني "رأس" في اللغة الفينيقية السامية والتي تقابل كلمة (cap) المشتقة من الكلمة اللاتينية (capo)، أما الشق الثاني من الكلمة : " كاد " فهو يعني النار أو اللهب ليصبح معنى الكلمة الكلي هو رأس النار،**(; La Mare,1859,p.144-145 Tissot J,1884,p.103)**

ومن جهته فقد أكد مارتشيلي(**De.Marcilly**) على الأصول البونيةالقرطاجية لاسم المدينة وألح على ضرورة كتابته بصيغة "روسيكادْ" (**Rusicad**) أي بدون حرف (e) أو الامالة الخفيفة في نهاية الكلمة، ويتابع قوله بأن الرومان بعد تدميرهم لقرطاج واحتلال أراضيها، قد أخضعوا جميع أسماء المدن البونية لضرورات النطق اللاتينية، وبذلك فان اسم روسيكادْ(**Rusicad**) البوني قد أصبح ينطق روسيكادِ(**Rusicade**) وفق الصيغة اللاتينية، ويؤكد مارشيلي بأن اسم المدينة حسب المنطوق اللاتيني يجب أن يكون روسيكادِ(**Rusicade**) أي باستعمال امالة خفيفة في آخر الكلمة، بدل الصيغة "روسيكادا" (**Rusicada**) باستعمال المد في آخر الكلمة الذي يعتبره نطقا خاطئا ،**(Marcilly, 1853, p.25-26)**، وهو نفس توجه برترون (**Bertrand**) الذي يرى بأن شكل الكتابة الصحيح للاسم هو روسيكادِ (**Rusicade**) وليس روزيكادا (**Rusicada**) أو روسيكادا(**Russicada**) التي اعتبرها مجرد صيغ اخاطئة تم الاعتياد على استعماها وكتابتها بهذا الشكل.**(Bertrand L ,1903,p.2)**

ويضيف مارتشيللي مرة أخرى بأن مختلف الصيغ التي ورد بها الاسم فوق النصب اللاتينية على غرار روسيكاديس(**Rusicadis**)، روسيكادِ(**rusicade**)، وروسيكادِم(**rusicadem**) هي ليست أسماءا متغيرة للمدينة، بل هي في حقيقة الأمر مجرد حالات الاعراب المختلفة التي قد ترد فيها كلمة روسيكاد(ِ**Rusicade**) حسب وقوعها في النص أو الجملة المكتوبة باللغة اللاتينية، فإذا وردت الكلمة في حالة النصب أو المفعول به تكتب بصيغة روسيكادِم (**rusicadem**)، وإذا وردت في حالة الجرّ فإنها تكتب بصيغة روسيكاديس (**rusicadis**)، أما في حالة المبتدأ أو المرفوع اللاتيني فتكتب بصيغة روسيكادِ(**Rusicade**) **(Marcilly (De,1853 , p.26**

أما فيما يخص تفسير معنى كلمة روسيكادِ فقد اختلف الباحثون في ذلك حيث رجح البعض منهم بأن اسم المدينة الأول كان حسب النطق البوني هو روسيكات (**Rusicat**) والذي يعني رأس زيكات(**Cap-Zicat**)، وقد تم تحريفه حسب الصيغة اليونانية إلى ثوزيكات(**Thuzicath**)، وهو اسم مكان أشار إليه الجغرافي الاغريقي بطليموس في مكان قريب من موقع سكيكدة، إلا أن باحثين آخرين قد رفضوا هذا الاحتمال ورجحوا بأن اسم ثوزيكات في الواقع يتناسب أكثر مع اسم تاكاتوا (**Tacatua**) وهو الاسم القديم لميناء تكوش التابع اليوم لولاية عنابة،**(Tissot J,1884,p.103-104)**

ويقدم باحثون آخرون احتمالا ثانيا يتمثل في أن الصيغة روسيكادِ هي مجرد إدغام للكلمة "روس-كيكادا" (**rus-cicada**)، المركبة من كلمتين تنتميان إلى لغتين مختلفتين أولاهما هي : كلمة روس(rus) السامية التي تعني رأس في اللغة البونية، والكلمة الثانية "كيكادا"(**cicada**) اللاتينية التي تعني "زيز" (**Sigale**)، لكن هذا الاحتمال لا يبدو منطقيا بحيث أنه لا يمكن البحث عن معنى أي كلمة بالرجوع في تفسيرها إلى لغتين مختلفتين تماما، كما لا يمكنتجاوز احتمال كون اسم "روسيكادِ" ذي أصول فينيقية وليس رومانية خاصة وأنها عرفت كمحطة تجارية خاضعة لقرطاج، إضافة إلى أن النطق اللاتيني الصحيح للكلمة هو روسيكادِ وليس روسيكادا.

(Judas ,1859,p.191 ;Tissot J,1884,p.104 ;La Mare,1859,p.145 ; Vars Ch, 1896.p.7)

احتمال آخر يعتبر بأن التسمية مأخودة عن الكلمة البونية المركبة من مقطعين هما روس – كيكار (Rus cicar)، والتي تعني رأس السهل، أو رأس ليكار (**Rus – Licar**) التي تعني رأس النار، وعلى العموم فأغلب الباحثيين يميلون إلى التأكيد بأن تسمية روسيكادِ بونية أي سامية الأصل تتكون من قسمين هما رأس الوقاد التي تعني رأس النار أو الرأس الملتهب أو المشتعل (Cap ardent)، وذلك بسبب وجود منارة كانت تدل البحارة الفينيقيين على وجود الرأس وبالتالي اقترابهم من مكان الرسو على اليابسة، وهو ما يتوافق اليوم مع التسمية الحديثة "رأس سكيكدة". **(Judas Ac ,1859,p.191 ; Vars Ch.,1896,p.7 ; J.Tissot J ,1884,p.104)**

و يفهم من كل ما سبق أن اسم المدينة لاعلاقة له بالرومان ولا بلغتهم اللاتينية، لأن الكلمة روسيكادْ أو روسيكادِ ليست لها أي معنى أو تفسير في اللغة اللاتينية، فمن المرجح اذن وهو الأقرب إلى المنطق التاريخي خاصة، بأن تكون صيغة الاسم روسيكادِ التي خضعت لضرورات لنطق اللاتيني مأخوذة حصرا عن الاسم البوني روسيكادْ (**rusicad**)، وعليه فمن العبث البحث عن أصول هذه التسمية ومعناها بعيدا عن اللغة الفينيقية.

وفي هذا الصدد يمكن الاشارة إلى رأي آخر غالبا ما تتداوله الأوساط غير الأكاديمية والذي يقترح الأصل المحلي لاسم روسيكادِ، حيث كانت تلة بويعلى قديما تعرف في اللغة الليبيةالقديمة باسم آسكاد(**askade**) التي قد تعني "الظاهر " المرئي" والمشتقة من الفعل "سكّد" أو "سقّد" الذي يعني رأى وشاهد، ولتقريب المعنى أكثر يمكن عرض مثال لذلك نلمسه على وجه الخصوص في بعض الكلمات المستعملة في اللهجة العامية المتداولة بالشرق الجزائري، على غرار مصطلح "نْسَقدَكْ" أي بمعنى "سأريك" والتي توظف لغرض التحذير فمثلا عند الحديث مع طفل مشاغب بنبرة تهديد وتوعد بالضرب أو بالتوبيخ يقال له "نْسَقدَكْ"، هذا ويوجد توظيف مشابه لهذا المصطلح بالمغرب الأقصى كذلك حيث تستعمل كلمة " أسكيكد "(**Askiked**) للتعبير عن قيام الرعاة بكسر أغصان شجر الأرقان كثيرة الورق لاعطائها لقطعان الماعز التي لا تستطيع الوصول إليها لتأكلها،**(Zerguef A,2011,p.181)**

أما الصيغة الكاملة للتسمية التي اشتهرت بها المدينة خلال الفترة الرومانية فهي كولونيا وينيريا(فينيريا)روسيكادِ(**Colonia Veneria Rvsicade**)، أي أن مستعمرة روسيكادِ قد وضعت تحت رعايةوحماية الالهة فينوس (وينوس بالنطق اللاتيني)، وهو لقب مأخوذ عن اسم المدينة الكامبانية بومبي (كولونيا كورنيليا وينيريا بومبيانوروم)، والتي كانت هي الأخرى موضوعة تحت رعاية الالهة فينوس والواقعة بالقرب من مصب واد سارنو وبالقرب من مدينة نوسيريا مسقط رأس المرتزق الايطالي سيتيوس النوسيريني، مما يعني أن هذه الصيغة التي عرفت بها روسيكادِ خلال العهد الامبراطوري، تعد من جهة تذكيرا بالمساعدات الفعالة التي قدمها رفقاء المرتزق سيتيوس النوسيريني لحليفهم يوليوس قيصر في حربه الافريقية سنة 46 ق.م والتي أدت إلى انتصاره وسيطرة الرومان على المدينة، ومن جهة أخرى فهي تعد رمزا لولائهم الدائم للرومان، **(Tissot J,1884, p.104 ; Shaw T,1830,p. 117)**

وخلال الفترة الاسلاميةذكرت العديد من المصادر اسم المدينةوقد طرأ عليه تغيير طفيف بفعل ضرورات نطق اللغة العربية، حيث يشير إليها البكري باسم تاسقدة في قوله"...إلى مرسى استورة وهو مرسى مدينة تاسقدة وهي مدينة أولية قديمة فيها آثار للأول عجيبة..."**(البكري، 1857،ص.83)**، ويذكرها في موضع آخر باسم سقدة فيقول "...وبينها (قسنطينة) وبين مرسى سقدة مسيرة يوم...."**(البكري، 1857،ص.63)**، كما يذكرها اليعقوبي في قوله "ومرسى يقال له اسْكِيدَة..."، ثم شاع تداول الاسم بصيغة سكيكدة مثلما ورد لدى الحسن الوزان في قوله " سُكَيْكَدَة مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر بعيدة عن قسنطينة بنحو 35 ميلا، خربها القوط في الزمن الغابر...، ويمتد بين هذا الميناء وقسنطينة طريق مبلط بحجارة سوداء على نحو ما يشاهد في ايطاليا وهذا ما يدل بدون شك على أن سكيكدة من بناء الرومان "، **(الوزان ،1983، ص.55)**

أما مارمول كاربخال الذي عادة ما ينقل معلوماته عن الوزان فيذكر بأن" **سقيقاتا** (**Sgigata**) مدينة عتيقة بناها الرومان فوق جبل عال يمتد طرفه إلى البحر عند خليج نوميديا، تقع شمالي قسنطينة على بعد 12ميلا منها، جعلها بطليموس عند 29° طولا و32° عرضا، واسمها عنده طاكاسي، كان القوط قد دمروها...، وتربطها بقسنطينة طريق مبلطة بحجارة مماثلة لتلك الطرق التي عبدها الرومان في كل من ايطاليا واسبانيا"**(كاربخال،1984،ص.7)**، أما

خلال الحقبة الاستعمارية فقد حملت اسم فيليب فيل (مدينة فيليب Philippe Ville) ثم أعيد لها اسم سكيكدة مرة أخرى بعد الاستقلال.**(Bertrand L, 1903,p.3-4)**

2-الميناء: ميناء سطورا

بالنسبة لميناء سطورة أو سطورا (stora)الذي يبعد عن روسيكادِ بحوالي 4 كلم بجهتها الغربية فيعد هو الآخر من الموانئ الفينيقية ثم القرطاجية الواقعة في عمق الخليج النوميدي المشكل من رأس بوقرعون ورأس الحديد، وقد تميز بكونه ميناء محمي جيدا من الرياح الغربية والشمالية الغربية (AAA, f.18, n.154)، والملاحظ بأن اسم سطورالم يكن معروفا في المصادر القديمة بل أصبح متداولا خلال العصر الوسيط من طرف بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، حيث استعمل من طرف البحارة والتجار للتفريق بين المدينة وميناءها، وبالتالي فقد اعتبر تاريخ سكيكدة مرتبط بتاريخ سطورة الذي أصبح ميناءها الرئيسي في العصور الوسطى وإلى غاية نهاية القرن19م، إلى درجة الخلط أحيانا بين اسم سكيكدة وسطوراكما حدث في العديد من المؤلفات.**(La Mare,1859, p.149 -154)**

أ- التسمية:

أما اسم "سطورا" أو "سطورة" المحرف عن الكلمة "ستورة"فلم يرد ذكره اطلاقا في المصادر الأدبية القديمة سواء اليونانية منها أو الرومانيةوكذلك الأمر بالنسبة للمصادر الاييبغرافية إذ لم يتم العثور على أي نقش سواء في سكيكدة أوبسطورا نفسها يشير إلى هذه التسمية، وتبقى المصادر الإسلاميةهي الوحيدة التي أشارت الى اسم هذا الميناء لأول مرة وبصيغ مختلفة تتطابق مع اسمها الحالي، حيث يذكرها أبو عبيد البكري خلال القرن 11م بصيغة استورة في قوله "...وفي آخره مرسى القل ومنه تسير إلى مرسى استورة وهو مرسى تاسقدة ..."**(البكري،1857، ص .83)**، ويذكرها كذلك الجغرافي الشريف الإدريسي في القرن 12م بصيغة استورة في قوله : "...ومن القل إلى مرسى استورة 200 ميلا ..."، **(الادريسي ،2000،ص.274)**

أما مارمولكاربخال في القرن 16م فيذكرها بصيغة " اشتورة مدينة قديمة على مسافة أربعة عشر فرسخا من القل إلى جهة الشرق في خليج اشتورة، أو خليج نوميديا وفيها يوجد مرسى

قسنطينة، ويجعلها بطليموس عند سبع وعشرين درجة وأربعين دقيقة طولا واثنتين وثلاثين درجة عرضا، واسمها عنده روسيكاد، وهي غير حصينة لأن أسوارها مهدمة، وعدد ما فيها من الدور المسكونة لا يتعدى مائتين، ويوجد بين هذا المرسى والمرسى السابق ثالث تعرف بمرسى الجنويين، ومن عادة السفن أن ترسو به إذا قويت الزوابع لأنه مستور من رياح الشمال ومن الرياح التي تهب من الشرق وتعرف بريح الاغريق " **(كاربخال ،1984، ص.6-7)**، مع العلم أن سكان المدينة من الشيوخوكبار السن يلفظون تسمية الميناء بحرف التاء أي "ستورة "كما كتبها الجغرافيون العرب، وليس بحرف (ط) "سطورا " كما نتداولها نحن اليوم.

والملاحظ على كلام كاربخال وكأنه يخلط بين سطورة وسكيكدة مثل غيره ممن تحدثوا عن هذا الميناء بل ويؤكد بأن الجغرافي بطليموس قد أشار إلى سطورة باسم آخر هو روسيكاذ، وكذلك بايسونال(**Peyssonnel**) الذي كتب بأن سطورة هي نفسها روسيكاد القديمة، **(Peyssonnel,1838,p.483-485)**، والامر نفسه يتكرر مع الرحالة الانجليزي شاو(Shaw) حين يجعل من روسيكاد وسطورة اسمين للموضع ذاته حين كتب الاسم المركب التالي(Stora-Sgigata)أي "ستورة-سقيقاتا"، **(Schaw T,1830 ,p.364)**

ب- تفسير معنى تسمية سطورا

أما عن معنى وأصل اسم سطورا (**Stora**) فلا يزال يكتنفه الغموض ويبقى رهنا للفرضيات المختلفة، فقد اقترح الباحثون مقاربة بين اسم سطورا واسم الإلهة الرومانية فينوس التي تمت مقابلتها بالإلهة السامية عشتار التي ورد اسمها هي الأخرى بصيغ مختلفة في مناطق عدة من الشرق الأدنى القديم، مثل صيغة عشتار أو إشتارفي النصوص الأكدية، وصيغة عشترت وعشتروت في النصوص العبرانية، وكذا عاشرة وعثتر وعثر في نصوص أوغاريت-رأس شمره، وصيغة إستارعند الآشوريين، وأثيرة عند الفينيقيين، وعاشرة وعثار في جنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الصيغ الأخرى التي أثبتتها المصادر القديمة والنقوش الأثرية، **(فراس السواح، 2002،ص.25-28)**،

والملاحظ أن اسم عشتار قد تمت مقابلته باسم الالهة أفروديت لدى الاغريق واسم الالهة فينوس(وينوس) لدى الرومان وكذلك ايزيس لدى قدماء المصريين، والمعروف أن البحارة الفينيقيين الذين نحتوا مقدمة سفنهم على شكل صورة عشتار، قد ساهموا بقدر كبير في نشر عبادة هذه الالهة في كل أرجاء المتوسط وكثيرا ما أطلقوا اسمها أيضا على محطاتهم البحرية ووكالاتهم التجارية في مختلف الأنحاء التي وصلوا إليها، بل إن الكتاب المقدس حسب ما يقول فارس (Ch.Vars) قد أشار إلى عدة مدن فينيقية تحمل هذا الاسم. **(Ch.Vars1896.,p.6-7)**

ويبدو بأن هناك بعض المعطيات التي قد تؤيد هذه الفرضية منها أن الرومان حين سيطروا على مدنية روسيكادِ قاموا بوضعها تحت حماية الإلهة فينوس (وينوس)، كما يظهر في تسمية المدينة ب: "كولونيا فينيريا(وينيريا) روسيكادِ" التي عرفت بها خلال العهد الامبراطوري، والمعنى الاجمالي لهذه العبارة هو "مستعمرة روسيكادِ الموضوعة تحت حماية الالهة فينوس (وينوس) أو "الالهة فينوس(وينوس) هي حامية مستعمرة روسيكادِ"(**Vars Ch,p.6-7; Judas Ac,p.191-192)**، ونفس الأمر ينطبق على مدينة وميناء كولو القريبة والتي وضعت هي الأخرى تحت حماية الالهة مينيرفا، كما يظهر في التسمية الكاملة التي عرفت بها خلال الفترة الرومانية كولونيا مينيرفيا (مينيرويا) كولو (**Colonia Minervia Chullu**)، (AAA.f. 8, n.149.).

وعليه ولأن الرومان قد انتهجوا سياسة التسامح الديني وحرية المعتقد وعدم المساس بالعادات المحلية الخاصة بالشعوب التي حكموها، فيفترض أنهم قد تبنوا نفس الآلهة التي قدسها الفينيقيون قبلهم في كل من مدينةروسيكادِوميناءها ومدينة كولو كذلك ولم يقوموا سوى باستبدال الاسماء الفينيقية لها بآخرى رومانية **(Judas Ac.1859,p.191-192)**، بمعنى أن تلك الآلهة ذات الأسماء الرومانية الحامية لهذه المواضع ربما كانت في الحقيقة مجرد ترجمة ومحاكاة للآلهة بونية ذات أصول فينيقية كانت لها صفة الحماية لهذه الموانئ البونية الخاضعة لسلطة قرطاج، فقام الرومان بالحفاظ على هذا التقليد البوني الفينيقي وغيروا فقط أسماء الآلهة الفينيقية إلى أخرى رومانية لها نفس الخصائص والوظائف، وقد يكون الأمر نفسه قد حدث مع "اسطورا" مع الفارق أنها احتفظت باسم الالهة الفينيقية كما هو ولم يعوض بآخر روماني، ربما لأن ميناء سطورا لم تكن

له نفس درجة الأهمية التي كانت لميناء روسيكادِ وكولو من جهة، أو لأن شهرة اسم المدينة والمستعمرة روسيكادِ قد حجب اسم مينائها اسطورا من جهة أخرى، فلم يرى الرومان أي ضرورة في إبدال اسم الالهة عشتار بآخر روماني(**Vars Ch. 1896,p.8 ;Judas (Ac,1859,p.192**

وفي هذا الصدد دائما نشير إلى فرضية أخرى لتفسير معنى "سطورا " مفادها أن الكلمة آتية من مصطلح "ستور" المشتقة من الكلمة العربية "ستار" والتي تحمل معاني الحماية، أو الملجأ والمأوى بحيث يتطابق هذا المعنى مع شكل ميناء سطورا الذي يتميز بانحدار عريض يحمي الميناء والسفن من الرياح الغربية، **(Vars Ch.1896,p.9.)**، وكما هو واضح فإن هذه الفرضية الأخيرة قد إعتمدت على التفسير اللغوي لكلمة باعتبار أن اللغة العربية هي لغة سامية كذلك مثل اللغة الفينيقية، وهذا ما يتوافق مع امكانية تفسير معنى "سطورا" بالاعتماد على اللغة الفينيقية، خاصة وأن كلمة "سطورا" تكاد تكون مطابقة للكلمة السامية "شطورا" والتي تكتب أحيانا بصيغة شتورة (**shtura**) أو بصيغة اشتورة (**eshtura**) في اللغتين الآرامية والسريانية، وكلاهما لغتان ساميتان وتعني لحف الجبل وسفحه وأسه، **(فريحة أنيس،1972،ص.97)**

3– لمحة تاريخية

لقد وردت بعض الإشارات لدى العديد من المؤرخين والجغرافيين القدامى وإن كانت مقتضبة حول اسم روسيكادِ وموقعها، حيث ذكرها الرحالة اليوناني سكيلاكس (Scylax) في القرن 4 ق.م، وبومبيوس ميلا في القرن 1م، وبلين القديم في القرن 1م،(**Pline l'ancien,2003, V ,21)**أما الجغرافي بطليموس فقد أشار إليها في القرن 2م، وكذا رحلة أنطونين ولوحة بوتنغر (**Peutinger**)، إلى جانب ويبيوسس كستر (**Vibius Sequester**) خلال القرن 4م، وبول أورسوس (**Paul Orose**) في القرن 5م، اضافة إلى كل من أيثيكوس (**Aethicus**) وايسيدور الإشبيلي، وجغرافية رافينا (**Ravenne**) في القرن 7م،(**AAA,f.8. n.156**)، ثم نجد اشارات مختلفة للمدينة خلال فترة العصر الوسيط لدى كثير من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، هذا عن المصادر الكتابية،

أما بالنسبة للمصادر المادية التي تناولتها العديد من الدراسات الحديثة بالبحث والتحليل فهي تشير بأنه وفي حوالي القرن 8 ق.م قام الفينيقيون بإنشاء محطة تجارية في المكان الذي سيعرف فيما بعد باسم سطورا، أما المدينة فقد أسسوها بالقرب من وادي الصفصاف والذي يحتمل بأنه نفس المكان الذي كانت تتموضع فيه احدى الضواحي النوميدية القديمة، ثم أطلقوا على المحطة التي أسسوها اسم روسيكادْ أو روسيكادِ بالصيغة اللاتينية، وبعد هزيمة قرطاج في معركة زاما سنة 202 ق.م، أصبحت السواحل الافريقية الممتدة من هيبوريجيوس (عنابة)إلى غاية وادي الملوكة (وادي الملوية) ضمن الأراضي التي تشكلت منها مملكة ماسينيسا (201-148ق.م)، لتصبح مدينة روسيكادِ أثناء فترة حكمه أحد أهم موانئ المملكة المصدرة للبضائع والصادرات النوميديةسواءا نحو روما أوبلاد الإغريق خاصة منها محاصيل القمح، والأحصنة، وأصناف من الحيوانات المستخدمة في حلبات المصارعة، **(Fenech E ,1852,p.6-7)**

وبالمقابل فقد ترددت على هذا الميناء الوكالات التجارية الأجنبية وكبار التجار ورجال الأعمال في تلك الفترة خاصة اليونانيين منهم والرومان، فعلى غرار مدينة كيرتا فقد كانت روسيكادِ ومنذ عهد الملك ماسينيسا وإبنه ميسيبسا تحتضن جاليات أجنبية من ذوي الأصول والجنسيات المختلفة فيما يعرف بالهجرة الحرة، والذين جذبتهم أهمية ميناء روسيكادِ حيث اعتبر من بين منافذ نوميديا البحرية الهامة خاصة بعد أن فقد خلفاء ماسينيسا كل أمل في السيطرة على قرطاج المدينة عقب أحداث الحرب البونية الثالثة سنة (**149–146ق.م**) وما تلاها.**(La Mare,1859.p.144)**

أما وأثناء الحقبة الرومانية فيبدو من خلال لوحة بوتنغر أن روسيكادِ كانت تحظى بأهمية معتبرة حيث رسمت بالقرب من اسمها صورة بيوت صغيرة، وهو دليل على أن المدينة كانت ذات مكانة هامة ورئيسية بوصفها مستعمرة رومانية، وهذا ما أكدته العديد من النقوش اللاتينية التي عثر عليها خلال الإكتشافات الأثرية التي تمت سواء في سكيكدة (روسيكادِ) نفسها أو بمناطق أخرى مثل قسنطينة (كيرتا) وميلة (ميلو) وتيديس وغيرها من المواقع **(AAA,f.8. n.156,p.12)**

هذا وقد صنف بلين القديم المدينة على أنها أوبيدوم(**oppidum**) (**Pline l'ancien ,2003.V ,2)** لتعرف خلال العهد الامبراطوري كمستعمرة شرفية تابعة لكيرتا في

اطار ما سمي بنظام الدمج الكيرتي (**contributio**) يدير شؤونها حاكم برتبة برايفكتوس يوري ديكوندو (**praefectus jure dicundo**)، وهو موظف برتبة تريومفير سابق مبعوث كنائب عن الإدارة المركزية بكيرتا، لتحصل في النصف الثاني من القرن 3م على ترقية ادارية ك: ريسبوبليكا وينيريا روسيكاديس (**Respublica ColoniaeVeneriae Rusicadis**)، بمعنى أنها تحتكم على خزينة عمومية مستقلة لأنها وكغيرها من مدن الاقليم الكيرتي الأخرى مثل كولو(القل) وميلو(ميلة)، فان روسيكادِ لم تحصل على الاستقلال التام عن ادارة كيرتا(قسنطينة)إلا بعد حل نظام الدمج الكيرتي في عهد الأباطرة فاليريان (Valérien) وقاليان (**Gallien**) فيما بين سنوات 253-268م (**Bertrandy, 2005,p.114**) .

إلى جانب ذلك فقد اعتبرت روسيكادِ من بين الموانئ البحرية الرئيسية لتصدير القمح الإفريقي نحو روما، فالعديد من الأختام الجمركية (**sceaux de douanes**) التي عثر عليها بسواحل المدينة كانت تحمل ختما باسم روسيكادِ مما يؤكد وجود مكتب جمارك بها لدفع الرسوم (**Portorium**)، كما تم تزويد المدينة بطريق معبّد يربطها بكيرتا، والذي عن طريقه كانت تصل إلى الميناء بضائع كثيرة ومتنوعة بعد عبورها منطقة خلفية (**Arriére-Pays**) تزخر بمختلف المحاصيل من قمح وزيوت، وخشب ذي نوعية جيدة وغابات تجلب منها حيوانات مختلفة تستخدم في ألعاب السيرك، وفي المقابل فقد كان ميناء روسيكادِ يوفر منتوجات أخرى عديدة كالأسماك المجففة والقاروم أو صلصة السمك.**(Vars Ch.1896, p.75)**

ومثلما تشير إليه بعض الدراسات فإن الرومان قاموا بتوسيع المدينة إلى غاية ميناء سطورة المحمي من الرياح والذي يشكل ملجأ آمنا للسفن أثناء هبوب العواصف القوية، كما تم بناء صهاريج مياه ضخمة ومخازن كبيرة استمرت الاستفادة منها منذ العهد الروماني وإلى غاية الحقبة الاستعمارية، حيث استخدمت لتجميع وحفظ المواد والمنتوجات المخصصة لجهاز الأنونة في انتظار نقلها على متن السفن المتجهة نحو ميناء أوستيا وبوتزول بايطاليا**(JulienCh.A.,1966, p.80)**،

كذلك عرفت روسيكادِ كواحدة من المدن الأبرشية ذات الكنائس والأسقفيات، وهذا ما أشارت إليه المصادر الأدبية والنقوشية التي أمكن من خلالها معرفة قائمة لأسماء أساقفة روسيكادِ،

كما شهدت المدينة الغزو الوندالي بقيادة جنسريق، مثلما تؤكده كتابات القديس أوغسطين وفيكتور ألفيتي (**Victor Viteus**) سنة 439م، وللاشارة فقد شارك أسقف روسيكادِ المدعو دوناتيوس الروسيكادي(**Donatius Rusicadenis**) في المجمع الكنسي المنعقد بقرطاج سنة 485م تحت رعاية الملك الونداليهينريك (**Hunéric**) الذي خلف جنسريق (389-477م)، وفي سنة 533م استولى البيزنطيون على إفريقيا في عهد الامبراطور جوستينيان (482-565م) وبقيادة بليزار (**Bélisaire**) لتصبح بذلك روسيكادِ خاضعة للنفوذ البيزنطي(**Julien Ch.A.,1966, p.80**)، وفي سنة 647م بدأ الفتح العربي الاسلامي لإفريقيا ليصبح المغرب بعد ذلك عربيا مسلما.

4- البقايا الأثرية

إن وجود جبل فليفلة بالقرب من روسيكادِ وهو الغني بمحاجر الرخام ذات اللون الأبيض الجميل، والذي وصف بأنه شبيه بالعاج، قد سمح لروسيكادِ أن تبني منشآت فخمة لا مثيل لها في العديد من المدن الرومانية ذات المكانة الأكبر والأهم منها، كما أحيطت بسور دفاعي يتكون من عدة أبراج بقيت بعض أجزائه قائمة إلى غاية الحقبة الاستعمارية، إلا أنه تعرض للتهديم الكلي حيث استغلت مواده في إعادة بناء المدينة الفرنسية فيليب فيل، وعليه فإن تلك المباني والعمران الجميل والفخم الذي عرفت به روسيكادِ الرومانية لم يبق منه سوى:

- المسرح

وهو الذي تم اكتشافه سنة 1838 في حالة سيئة من الحفظ فكل أجزاءه كانت مهدمة، كما تسبب الفرنسيون في تخريب جزء كبير منه حين انتزعت حجارته من أجل بناء المدينة وفق النمط الأوروبي، كما تم تشييد مدرسة للبنات تسمى (Emile Maupas) فوق اوركاسترا المسرح (**orchestre**) وهي ثانوية النهضة حاليا، أما عن مساحته فقد وصلت في أكبر عرض له إلى حوالي 82.40م إذ كان يتسع لحوالي 5 أو 6 آلاف متفرج كان بإمكانهم الحصول على مكان فوق مدرجاته، وكان يتم الدخول إليه عبر أدراج من الرخام المزينة بأشكال الدّلافين من كل الجهات، (**Bertrand L et ChabassiereJ,1904, p.23 ; Bertrand,1908, p.10**)وقد

زين المسرح بزخارف جميلة حيث عثر على حطام الكورنيش ودرابزون (balustrade) من الرخام، (الصورة 1)

أماعن تأريخ بناءه فقد حدد بالقرن 2م في عهد الامبراطور هادريان لأن حجارة احدى القباب تضمنت عملة نقدية للمدعوة صابينا(Sabina) زوجة هذا الإمبراطور، وخلال القرن 3م خضع المسرح لعمليات ترميم مولتها تبرعات الحكام والأثرياء من المواطنين الرومان أمثال فابيوس فرونطو (**Fabius Fronto**)، وللاشارة فقد خضع خلال الحقبة الاستعمارية كذلك لعملية ترميم مكثفة **(Gsell St, 1901, p.192-194)** (الصورة 2)

– المدرج

دائما وخلال سنة 1838كذلك تم استكشاف المدرج الروماني تحت اشراف الجنرال (Négrier) بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة وبالقرب من واد الصفصاف والمقبرة المسيحية، حيث كان جزءه الأكبر محفوظا بشكل جيد لدرجة يمكن معها تخيل سماع صدى الألعاب التي كانت تقام فيه وصيحات الجمهور الروماني حسب تعبير أحد المستكشفين في قوله "حتى أننا تخيّلنا أنه وبالعشية نفسها كان الجمهور من المتفرجين قد اتخذوا أماكنهم فوق مدرجات مقاعد السيرك التي اسودّ لونها قليلا بسبب مرور عدة قرون..."،**(Vars Ch.1896,p.127-128)**

يتسع مدرج لسكيكدة لحوالي 8000 متفرج، ورسوم مخطط رافوازي تبين بأن مجموع المبنى يقدر طوله بـ 78م وعرضه بـ 58م، أم ارتفاعه الكلي فيقدر ب 12 م بينما ارتفاعه بجهته الداخلية فيقدر بـ 8م وعرضه بـ 5م، وقدر سمك عمارة المدرجب 21م مهيئة على 12 صف من الدرجات، أما مسطحة الحزام فتتواجد بين الصف الثامن والصف التاسع، وبرتفع الصف الأسفل إلى5م فوق الحلبة، في حين أن القسم العلوي كان محاطا بممّر عرضه 10م أحيط برواق معمد مزدوج، وقد استخدمت الحجارة المصقولة في رصف المدرجات والجدران والحلبة التي زينت بتماثيل جميلة، **(Ravoisier A,1846, pl. 51-55)**(الصورة 3)

وللاشارة فإن مدرج سكيكدة هذا قد خصص لألعاب السيرك وعروض المصارعة(**uenatio**) التي تضم جميع أصناف الحيوانات من آكلات اللحوم المتوحشة أو المستأنسة الأليفة أو الحيوانات العاشبة، وقد خلدت العديد من النقوش الملتقطة من الموقع مشاهد

تلك العروض كان من بينها تلك التي قام بتمويلها أحد أعيان روسيكادِ سنة 187م لسكان المدينة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تهيئة المبنى كانت تمكن من تقديم عروض للمعارك البحرية(les batailles navales) بواسطة استخدام السفن(**naumachie**)، حيث بنيت الحلبة بشكل بيضاوي قدرت ب56م في أكبر محور لهاو30 م في أصغر محور لها وفي المنتصف حفرت قناة مائية تسمح بملئ هذا المبنى الواسع بالمياه عن طريق فوارة مياه للمراحيض (jeu de vannes). (**Gsell,1901, t. 1 , p.201**.)

أما أقواس ممرات الأروقة المقنطرة وأبواب الخروج والمقاعد فقد بقيت محفوظة إلى غاية سنوات1844-1845م، حين تم تهديم هذا المعلم بالكامل من طرف الجنود الفرنسيين لتستعمل حجارته في بناء السور المحيط بالمدينة الاستعمارية التي أصبحت تدعى فيليب فيل (Philippe ville) ولم يبق منه اليوم أي أثر يذكر،وتجدر الاشارة هنا بأن هذا النوع من المدرجات كان نادرا في عموم الإمبراطورية الرومانية فباستثناء الكولوسيوم بروما لا يوجد من هذا النموذج إلا 5 مدرجات هي على التوالي مدرج سيزيك (cyzique) بمدينة فريجية، ومدرج برجام(Pergame) بمدينة ميسي (Mysie) بآسيا الصغرى، ومدرج كورنثا باليونان، ثم مدرج روسيكادِ بإفريقيا.**(Vars Ch.1896,p.123-124)**

– نافورة المياه الضخمة

في سنة1840 وأثناء بناء سور داعم لساحة البحرية(La place de la Marine) وهي المعروفة حاليا باسم ساحة أول نوفمبر 1954، تم العثور على نافورة ضخمة ذات هندسة جميلة بنيت من الرخام الأبيض وتتكون من 18 دكة دائرية متراكبة فوق بعضها كان الماء يسيل فوقها، ويصل إلى قمتها عبر قناة، كما تكون مبنى النافورة من سلّم دائري بلغ ارتفاعه 4موينتهي في قسمه العلوي بمسطحة (قرص الدرج) قطرها 11.80م، ينقسم إلى أربع فسقيات كمثرية الشكل (piniforme)، تصل عبر قمة مشتركة إلى عمق غائر بشكل مربع في وسطه تنفتح قناة أخرى، هذه الفسقيات (vasquesحوض من رخام في وسط نافورة ماء) كانت متجمعة حول فسقية أخرى ذات حجم أقل يخرج منها عمود ماء يأتي مباشرة من خزانات المياه(**Vars Ch.1896,p. 123-124**)،(الصورة 4)

وللعلم فقد كانت هذه النافورة تتزود بحاجتها من المياه من العين المسماة بعين الرومان وأخرى تسمى بعين المرابة كانت تتصل بقنطرة ناقلة للمياه (aqueduc)، كما كانت الخزانات والصهاريج تتزود بالمياه الآتية من جبل بني مالك، ثم تتصل هذه الخزانات بصهاريج ثانوية تتواجد تحت المسرح الواقع بشارع ديدوش مراد حاليا، وأخرى تتواجد في مكان المخزن العسكري للمؤن بساحة البحرية، حيث عثر سنة 1859 على قناة تحت الأرض كانت تمون شارع البحرية والنافورة الضخمة بالمياه**(Gsell,1901,t. 2, p.245)**.

وعلى كل حال فإن الماء الآتي من أعلى المدينة استوجب قوة دفع كبيرة، حيث ترك دور قذف الماء لقناة مياه طويلة، والذي كان عبارة عن ماء نفّاث مقسوم إلى 5 فروع بحيث أن قاذف الماء الأوسط كان يصل إلى عدة أمتار ارتفاعا، ومنها 4 فروع متقوسة على شكل قباب لتصب في الفسقيات الجانبية، بحيث أن المقدار الهائل من المياه المحيط بالأحواض كان يسيل على شكل شلال على طول 18 دكة، لتصب المياه داخل حوض أكبر له نفس الشكل أين توجد قناة أخرى تقوم بتوجيه المياه بعد ذلك نحو البحر،هذا وقد دمرت النافورة من طرف مصلحة الجسور والطرقات الفرنسية وذلك عند الشروع في عملية بناء المدينة الاستعمارية الفرنسية الجديدة فيليب فيل عام 1863 م واستعملت قواعدها وكتلها الحجرية في بناء السور **(Vars,1896,p.58 ; Gsell,1901, t. 2, p.245)**.

-خزانات وصهاريج المياه

أما بالنسبة لخزانات المياه الرومانية فقد بنيت فوق منحدر تلّة بويعلى في أعلى المدينة بجهتها الغربية، والتي تمّ ترميمها فيمابين سنوات(1845-1846م) وفي سنوات (1852-1863م)، حيث استعملت لتموين المدينة الاستعمارية "فيليب فيل" بالماء بالاضافة إلى صهاريج كبيرة أخرى كانت لا تزال قائمة بالقرب من ساحة البحرية سنة 1875، **(Vars,1896,p.11-14 ; Gsell,1901,t.2, p.35-36)**، وقد كتب نقيب المهندسين مارتشيلي في هذا الصدد قائلا " يوجد خزان آخر ا قمت بتهديمه عام 1850 حيث استعملت حجارته في بناء عمارة مخصصة للمسافرين والطّرود والودائع الخاصة برجال الدولة، أما تلك التي لا تزال محفوظ إلى غاية يومنا هذا فهي متوقفة عن العمل لأنه لا أحد يستعملها"، أما أرصفة الميناء

القديمة فهي الأخرى كانت في وضعية جيدة إلى أن تم تدميرها سنة 1851.**(Marcilly,1853, p.21-26)**(الصورة 5)

-مخازن الغلال

في إحدى النقائش التي تمّ العثور عليها بالمدينة والمؤرخة بفترة حكم الأباطرة فالنتينيان(364-375م) وفالنس (375-378م)، تمت الاشارة إلى أن مخازن الغلال العمومية (horrea) قد بنيت في روسيكادِ من أجل تجميع وحفظ منتوجات الأنونة وهي الغلال التي يتم تحصيلها من مختلف مناطق الاقليم الكيرتي ومقاطعة نوميديا كلّها، **(Vars,1896,p.15-18)**حيث تم في سنة1851 إحصاء حوالي ستة(6) مخازن تعود للفترة الرومانية استمر استخدام بعضها من طرف الملاحين الفرنسيين لتخزين وحفظ المؤن والسلع، وقسم آخر من هذه المخازن تم استغلالها كمستودع لحفظ الآلات والأدوات المستخدمة من طرف مصلحة الجسور والطرقات الفرنسية، لكن وفي عام 1903م وبعد الشروع في عملية تهيئة شارع المحطة فوق هذه المخازن تم اصدار قرار بردمها بعد سد المدخل المؤدي اليها**(Gsell ,1901,t. 1, p, 272)**.

-المعابد

بالإضافة إلى ما سبق فقد عثر على عدة آثار لمعابد تخص آلهة مختلفة تشهد على مدى تعلق سكان المدينة بالحياة الدينية، فقد وجد معبد للإلهة الانتصار (Victoire)، ومعبد للإله جوبيترالأبنيني (**Jupiter Apennin**)، حيث كان ينتصب بالجهة الشرقية للمدينة على جانب جبل سكيكدة، وقد شغل المسرح المعاصر مكان معبد كبير من المحتمل انه الكابتول الخاص بالمدينة ومعبد هيليوس (Hélios)، أما معبد بلونة(Bellone) فقد كان متواجدا في مكان المستشفى، أما معبد فينوس فقد تم بناؤه فوق مجموعة من الخزانات في مكان المسرح البلدي حاليا، ومعبد آخر لإله لم يتم التعرف على اسمه**(Vars,1896,p.88-92)**

وأثناء عملية حفر أساسات مركز البريد القديم في شهر جوان من سنة 1891 تم اكتشاف قاعدة لتمثال من الرخام قدر ارتفاعه ب1.50م يحمل الكلمات التالية (**hygie.Aug. Sacrum**)،وبجانبه تمثال بدون رأس يمثل الالهة هيجي (Hygie) في وضعية

الجلوس، مما يدل على وجود معبد مركس للآلهة الصحة والشفاء اسكولابيوس إله الطب وهيجي إلهة الصحة **(Benseddik N, 2010, p. 152)**.

كما تم التعرف سنة1845 على معبد تحت الأرض خصص للاله مثيرا والذي كان قائما بالمكان الذي بني فوقه المذبح البلدي القديم، وهو نفس المكان الذي يقوم فوقه اليوم مأوى العجزة، وما يؤكد ذلك هو العثور على 3 تماثيل صغيرة، يصور احدها مسخا بجسد بشري ورأس أسد، أما التمثالين الآخرين فيجسدان (**cantes**) وهي شمس الربيع و(**cantopates**) وهي شمس الخريف، إلى جانب وعاء من الرخام الوردي يحيط به ثعبان، **(Gsell ,1898, p.69)**كما تم التقاط عدة تماثيل خاصة بمعبد الميثرايوم (Mithraeum) تمثل صورة الإله ميثرا محاط بمساعديه، إلا أن هذه التماثيل قدأصيبت بالتلف نتيجة عدم توفرها على الشروط اللازمة للحفظ، إذ لم يعد شكل هذه المنحوتات شبيها بما رسمه دي لامار عند اكتشافها**(Vars,1896,p.60-61)**.(الصورة 6)

-النصب الحجرية:

كذلك فقد تم العثور على نصب حجرية تحمل كتابة بونية جديدة وصندوق جنائزي أرخت بحوالي القرن 4 و3 ق.م، كما تم العثور على العديد من النصب البونية الخاليّة من الكتابة تشهد على عبادة الإله بعل حامون وأخرى مهداة إلى الإله ساتورن الإفريقي وهو ما يشهد على استمرار العادات والممارسات الدينية البونية خلال القرن الأول ميلادي **(Gsell,1912,p.26-27)**، إضافة إلى العديد من النصب الجنائزية اللاتينية التي قام برسمها دولامار تم ارسالها الى متحف اللوفر، حيث دلت العديد من تلك النقوش إلى استمرار استعمال بعض أسماء الأعلام اللّيبية والبونية بروسيكادِ مثل جولوديو (Guludio) ومونا (Mona)**(Vars,1896,p.203-205)**. (الصورة 7)

وفي هذا الصدد فقد تم اكتشاف نصبين يحملان الشعارات القديمة للمدينة وها محفوظان بالمتحف، أحدهما عبارة عن نصب صغير من الحجر الرملي نحتت فيه جبيهة مزخرفة بهلال أقرن يعلوه قرص، تحت هذه الجبيهة وضع جنبا إلى جنب صولجان والصورة الرمزية للإلهة تانيت، مما

جعل البعض يعتبره بمثابة شعار مستعمرة روسيكادِ خلال الفترة البونية(**Gsell St., 1898,p.38)** (الصورة 8)،

أما عن شعار مدينة روسيكادِ الرومانية فهو عبارة عن نقش بارز من الرخام يمثل صورة امرأة تلبس رداء يونانيا، وهي واقفة تمسك بيدها اليمنى المنخفضة صولجان وبيدها اليسرى تمسك قرن الخصب وعصا طويلة، وينتهي جزءها العلوي بقطعة نسيج مربعة الشكل (Vexillum) و الإكليل الذي يحيط بالرأس حيث ترمز هذه الصورة إلى الثروة والرخاء، أو إلى الإلهة الحامية للمدينة أو (Tutela)، وإما أن تكون تشخيصا للمدينة ذاتها(**Gsell St.1898,p.38**) .(الصورة 9).

-المقابر والأضرحة

انتشرت حول أسوار روسيكادِ عدة مقابر فقد بني المستشفى العسكري فوق سرداب دفن يعود للفترة البونية استخرجت منه العديد من اللّقى الأثرية، أما بالنسبة للمقابر الرومانية فقد تموضعت في أربع أماكن رئيسية للمدينة، حيث أمكن التعرف خلال الحقبة الاستعمارية على مقبرة كبيرة خلف الثكنة المسماة (Mangin)والخاصة بالفيلق الخامس عشر للقناصة السينيغاليين، حيث تكون الاصطبل التابع لهذه الحامية العسكرية من أضرحة وتوابيت تم نقلها فيما بعد إلى متحف المدينة **(Vars, 1896,p.31-35**).

مقبرة أخرى كانت توجد بشرق الثكنة وامتدت على مسافة قدرت ب150م باتجاه الجنوب عثر بها على كولومباريوم (Colombarium)، وبضاحية الأمل (Espérance) الواقعة جنوبا كانت هناك مقبرة تمتد على جوانب التلة السوداء (Négrier)، وداخل مزرعة (Crespin) عثر على غرفة كبيرة مزودة بكوات خصصت لوضع التوابيت، نفس الأمر حدث في مزرعة (Oettey) حيث وجدت بقايا آثار فيلا رومانية مع حماماتها وأقبيتها **(Gsell,1912,p.34.)**،

وعلى بعد 2 كلم علىالطريق الأعلى لسطورةوبداخل المزرعة الخاصة بالسيد (M. Lesueur) والتي تحولت إلى ملكية خاصة بالسيد (Morel) كانت توجد هناك قبة متينة وفضاء

لمقبرة مسيحية، كما وجدت مجموعة من الجرار الفخارية وحوالي 31 قبر مغطى بالقرميد يحيط بها سور من الحجارة، مما يجعلها تبدو كمساحة مقدسة(area) مع مجالها من القبور يحيط بها سور، إضافة لاحتواءها على بعض الكتابات، كما تم العثور على عمود من الحجارة عليه رمز الصليب رسم بنقش بارز تحيط به دائرة**(Gsell,1901.t.2,p.58)**.

– الفيلات الفخمة

في حوالي سنة 1840 وبالقرب من ساحة البحرية تم اكتشاف بقايا فيلات(villae) بالواجهة البحرية الواقعة بين روسيكادِ وسطورة (الصورة10)، تمثلت تلك البقايا في قطع الفسيفساء لحمامات تصور حوريات البحر والتي بلغ طولها 4.55م عرضها حوالي 3م (الصورة 11)، إضافة إلى أجزاء من أعمدة وتماثيل، تم تهديمها هي الأخرى من أجل تهيئة مكان مناسب لبناء مخازن للإدارة العسكرية، فيلا رومانية أخرى اكتشفت في شارع المستشفى المدني، عثر بها على رأس تمثال من الرخام يمثل أغريبينا الكبرى قدر ارتفاعه ب 25 سم إضافة لأواني فخارية وجرار آجر من كل الأحجام، قطع من الفسيفساء،**(Vars.1896.,p.25-27)**

إلى جانب العديد من القطع الهامة التي اكتشفت عن طريق الصدفة مثل قاعدة لتمثال مع نقيشة تذكر" praeses provinciae numidiae consulais"، وقطعة من نصب ميلي مع نقيشة تتعلق بالليغا البروبريتور، وثلاث نصب نذرية، تمثال صغير من الرخام للمؤلهة (Latone) أو (Fécondité) بمعنى الخصوبة تمسك بيديها وتضم الى صدرها طفلين، وتمثال صغير آخر مصنوع من الفخار المشوي يمثل امرأة حدباء ولها بطن كبير، الى جانب توابيت، أعمدة، تيجان أعمدة، مصابيح جنائزية، وميداليات**(Gsell,1898,p.28).**

وعليه يمكن القول بأن روسيكادِ قد كانت خلال الفترة الرومانية مقصدا مفضلا لكل الفئات من النخب المشكلة للمجتمع، سواء تعلق الأمر بفئة القادة العسكريين أوالحكام والموظفين السامين المقيمين في المناطق الداخلية الذين كانوا يأتون إلى مينائها لركوب السفن والذهاب إلى روما، كما قصدوها من أجل الاسترخاء والراحة من تعبهم باستنشاق الهواء النقي ونسيم البحر والتمتع بالتسلية واللّهو في المستعمرة المرحة "وينيريا روسيكادِ "، أين تسير الحياة بشكل هادئ في

محيط تفوح منه الروائح المنعشة المنبعثة من الأشجار المثمرة أثناء الإزهار والمطلة على أمواج البحر الهادئة والشفافة التي يتميز بها الخليج النوميدي، (**Vars,1896,p.28-30**) ولعل هذا ما يثبته العثور على عشرات التماثيل الرخامية التي تجسد أفراد الطبقة الثرية من رجال ونساء بالمدينة والمحفوظة اليوم بالمتحف البلدي لسكيكدة.(الصورة12)

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول بأن مدينة روسيكادِ وميناءها حسب مجمل الدراسات التي تناولت البحث في تاريخ المدينة وآثارها عبر العصور التي مرت بها لم تكن مسرحا للأحداث الهامة أو المصيرية في تاريخ المغرب القديم، ربما سبب ذلك يعود إلى الغموض الذي اكتنف العديد من مراحلها وعدم تناولها إلا بشكل عابر ومقتضب من طرف المصادر القديمة، ثم عدم الاهتمام الكافي بدراسة بقاياها الأثرية من طرف الباحثين المعاصرين بل لقد تعرضت الكثير من آثارها للتهميش والاتلاف سواء أكان مقصودا أو لا، ولعل خير مثال على ذلك ما تعرضت له آثار المدينة من تدمير وتهديم متعمد من قبل السلطات الفرنسية لا سيما في بداية الاحتلال على غرار المدرج الروماني الذي تم تهديه بالكامل ولم بيق منه أي أثر يذكر، وذلك بغرض اعادة استعمال حجارة تلك المعالم الأثرية في بناء المدينة الفرنسية الجديدة فيليب فيل، ونفس الأمر قد حدث لنافورة المياه الضخمة وغيرها من البقايا التي لقيت نفس المصير ،

وعليه يمكن اعتبار روسيكادِ الأمس وسكيكدة اليوم من بين المدن التاريخية التي يتوجب على الباحثين في مختلف الميادين سواء منهم المغاربة بصفة عامة والجزائريين على وجه الخصوص، الاهتمام بإعادة استكشاف تاريخها وذلك عن طريق بذل مجهودات أكبر وأكثر تركيزا واحترافية في اعادة استنطاق المصادر المكتوبة التي تحدثت عنها من جهة، وكذا اعادة تقييم موروثها الأثري الذي لا زال غير معتنى به كما يجب من جهة أخرى، ومتابعة الاستكشاف والبحث المنظم وفق أسس منهجية علمية عن الآثار التي لا تزال حبيسة في مختلف الأماكن المكونة لاقليم ولاية سكيكدة من جهة ثالثة، والتي بدون شك سيكون لمثل هذه المبادرات نتائج ايجابية على كل

المستويات وتسمح للباحثين المحليين بالخروج عن توجهات الموروث الاستعماري في ميدان التاريخ والآثار معا.

قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب :**

– الادريسي الشريف،2002،كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،

–البكري أبي عبيد ،1857، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب(وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك)، مكتبة المثنى ببغداد،

– السواح فراس، 2002، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط.8، دار علاء الدين، سوريا،

– فريحة أنيس،1972، أسماء المدن و القرى اللبنانية وتفسير معناها، ط.2، بيروت،

–كاربخال مارمول، 1984، افريقيا، ج.3، تر. محمد حجيوآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب،

–الوزان الحسن ،1983، وصف افريقيا، ج.1 و2، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط.2، بيروت،

-AAA :Atlas Archéologique de l’Algérie.

-Benseddik N,2010 , Esculape et Hygée en Afrique, t. 2, Paris.

-Bertrand L,1903, Histoire de Philippeville, Philippeville.

-Bertrand L,1901,Catalogue archéologique de Philippeville,.

- Bertrand L et J.Chabassiere,1904 ,Rusicade d’après ses ruines,extrait du Bulletin de l’Académie d’Hippone,n.31,Bone,

-Cote M**,**1996,Paysages et patrimoine Guide d’Algérie , éd. Média-Plus , Algérie ,

-Delamare Ad.H.Al.,1850,Exploration scientifique de l’Algérie pendent les années 1840-1845,Paris,

-Fenech E, 1852, Histoire de Philippevile,éd.Le Proust de Ageux,

Fournel H,1845,Richesse minérale de l'Algérie,t.1,Paris,

-Gsell St., 1898, Musée de Philippeville,Paris,

Gsell St. ,1913, Histoire ancienne de l'Afrique du nord,t.2, Paris.
Gsell St. ,1901, Les monuments antiques de l'Algérie,t.2, Paris.
Gsell St., 1912, Exploration scientifique de l'Algérie pendent les années 1840-1845, Archéologie,texte explicatif des planches de Delamare (Ad.H.Al.) ,ed.ErnestLeroux,Paris,.
-IL.Alg.t.II
-Julien Ch.A.,1966,Histoire de l'Afrique du nord(Tunisie, Algérie, Maroc)des origines à la conquéte arabe(647 ap.J.C) ,Payot, Paris.
-Mannert K,1842,Géographie ancienne des états barbaresques,ed. Roret,Paris,
-Peyssonnel Ch.,1838,Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger,t.1, Paris .
- Pline l'ancien, 2003, H.N, livre V , III, 22, trad, J. Desanges, ed Les belles lettres,Paris .
- Poiret J.L.M. , 1789, Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785- 1786,éd .chez J. B. F.Née de la Rochelle,
-Ravoisier A.,1846, Exploration scientifique de l'Algérie pendent les année 1840-41-42 ,Beaux –Arts architecture et sculpture,t.2 , Paris
-SchawT.,1830, Voyage dans la régence d'Alger: ou description géographique, physique, philologique, etc., de cet état , Traduit de l'Anglai,t.1, ed. Chez Marlin,
-Tissot Ch.J, 1884,Géographie comparée de la province romaine d'Afrique,Paris,
- Vars Ch, 1896,Rusicade et Stora, Constantine, .

- المقالات:

Bertrand L ,1908,Monographie du théatre romain de Philippeville, in, RSAC.,
-Bertrandy F,2005, La confédération cirtéenne des Flaviens à Gallien et la Numidie cirtéenne dans l'antiquité tartive(69-439),in,Questions d'histoire,l'Afrique romaine de 69 à 439,ed.du temps ,Nantes,

-Heurgon J,1957, Les origines campaniennes de la confédération cirtéenne,Libyca,t.V,
-Judas Ac,1859, Note de M.le docteur Judas ,in , Mémoires de la Société nationale des antiquaires de France,V.24,

-La Mare, 1859, Etude sur stora port de Philippeville, Mémoires de la société nationale des antiquaires de France,t.24,
-Marcilly De ,1853, Notice sur les vestiges de l'ocupation romaine dans le cercle de Philippeville, dans RSAC,
-Zerguef A,2011, Définition de certins termes géographiques amazighes relatifs à l'eau d'irrigation, in,Les termes géographiques amazighes coordonné par H.Ramo,Rabat,

الملاحق:

صورة 1: المسرح الروماني بعد اكتشافه

المصدر :Bertrand L,1901,pl.1

صورة 2: صورة حديثة لمسرح روسيكادِ الروماني

صورة 3: رسم تخطيطي للمدرج الروماني

المصدر: Ravoisié A,1846,pl.57

صورة 4: رسم تخطيطي لنافورة المياه الضخمة

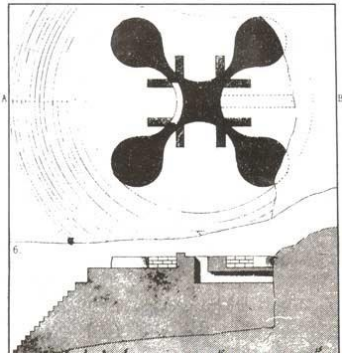

المصدر: Delamare,1850,pl.111

صورة 5: صهاريج المياه

المصدر: Delamare,1850,pl.36

صورة 6: منحوتات مختلفة تجسد الاله ميثرا

المصدر: Delamare,1850,pl.16

صورة 7: نماذج لنصب جنائزية رومانية

المصدر: Delamare1850,pl.27,

صورة **8**:نصب يمثل شعار روسيكادِ البونية

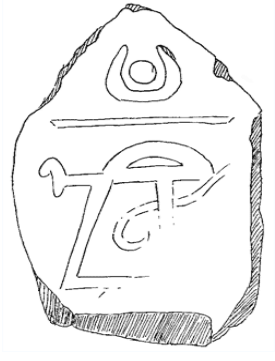

المصدر:Gsell 1898 ,p.38

صورة9: نصب يمثل شعار روسيكادِ الرومانية

المصدر:Gsell1898,p.38

صورة **10**:بقايا فيلا سالوستيانا

المصدر :,Delamare,1850,pl.41

صورة **11**: مقطع لفسيفساء الحوريات

المصدر:,Delamare,1850,pl.19

صور **12**: نماذج من تماثيل رخامية لرجال ونساء معروضة في فناء متحف سكيكدة